مسرح كركوز وعيواظ بدمشق

فن امتزج بوجدان الشعب ومرآة يعكس بها المجتمع عيوبه

| منير كيال

عُرف مسرح الظل بدمشق لدى العامة باسم مسرح كركوز وعيواظ لما كان لهما من دور بعروض بابات (مسرحيات) مسرح الظل، فضلاً عن شخوص أخرى لعل من أهمها المدلل وشيخ الشباب بكري مصطفى.

وهو مسرح أقرب إلى التكامل، شخوص هذا المسرح، بشر تمثّل صوتاً وخيالات تظهر صورة، وله مكان للعرض، كما أن له إضاءة مسرحية تراعي حركة الشخوص، وقصة لها بداية ونهاية وجمهوراً يشاهد مقابل أجر، وهو غير مسرح العرائس المتحركة بخيوط من أعلى، كما أنه غير مسرح الأرغواز الذي تتحرك شخوصه بوساطة قفازات باليد من الأسفل.

وفوق هذا وذاك فإن مسرح الظل يعتبر مبشراً بظهور المسرح ببلاد العرب وخيال الظل لغةٌ إضافة مطلوبة أرادوا بها ظل الخيال، وقد اتخذت هذه التسمية تركيزاً للانتباه إلى الأصل ينعكس الظل عنه.

أما نشوء هذا المسرح فتذهب المصادر إلى إرجاع هذا المسرح إلى بلاد جنوبي وشرقي قارة آسية، أكان ذلك بلاد الهند أم سيلان أم بلاد اليابان أم الصين، وقد عرف العرب فن الظل بالعصر الوسيط بواسطة المغول والسلاجقة، إبان القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر للميلاد، عبر بلاد فارس والأناضول، فواكب الحياة الإسلامية واستقر بالقاهرة، فازدهر وانتشر في بلاد العرب.

لاقى مسرح الظل حظوة عند أهل العلم لكونه يصدر عن فلسفة شعبية خاصة، وقد أشار شيخ الصوفية ابن عربي إلى وجه العبرة بمسرح الظل في فتوحاته المكية بقوله: «ومن أراد أن يعرف حقيقة ما أومأنا إليه، فلينظر إلى خيال الستارة وصوره، ومَن الناطق بتلك الصور ومَن اللاعب بها، الصبيان الصغار يفرحون ويطربون، والغافلون يتخذونه لهواً، والعلماء يعتبرون ويعلمون أن الله ما نصب هذا إلا مثلاً.

ويذكر ابن إياس أن معرفة الأتراك العثمانيين لمسرح الظل كانت بفضل العرب، فبعد اجتياح العثمانيين بلاد الشام، وانتزاعها من حكم المماليك، لاحقوا فلول المماليك إلى مصر وانتصروا عليهم، وقبضوا على الحاكم المملوكي (طومان باي) وشنقوه على باب زويلة بالقاهرة، وفي المساء احتفل السلطان العثماني بذلك الانتصار، ومثّل له المخايلون ذلك بما فيه شنق (طومان باي) فأعجب السلطان العثماني بذلك، وأخذ معه إلى استانبول ما أخذ من أرباب الصنايع، عدداً من المخايلين، فكان الإقبال عليهم كبيراً فنجحوا نجاحاً كبيراً، فراج هذا الفن باستانبول، وأصبح له تقاليد خاصة في العرض. ونتيجة للسيطرة العثمانية على بلاد العرب، فقد بدت التأثيرات العثمانية الظلية واضحة في نصوص وأزياء شخوص مسرح الظل، حتى إنه يخيل للمرء أن هذا الفن ببلاد الشام، قد صدر عن الأتراك العثمانيين.

وإذا كانت البابات (الفصول) التي عرفت في سورية لا تُخفي استعارتها لشخصي كركوز وعيواظ وشخوص أخرى عرفها المسرح الظلي العثماني، فإن أغلبية النصوص أو الموضوعات التي عالجها مسرح الظل في بلادنا، قد استمدت مادتها من البيئة الشعبية المحلية والأحداث المعيشة محلياً، ذلك أن مسرح الظل في بلادنا كان مستقلاً في جوهره عن المسرح الظلي العثماني، وقد استطاع هذا المسرح أن يعكس جوانب الحياة المعيشة في بلادنا، فضلاً عن ذلك فقد استطاع مسرح الظل عندنا أن يطوع نصوص الفصول المتوارثة إلى ما يخدم البيئة المحلية، وأن يجعلها مستمدة من الحياة الاجتماعية المحلية.

وقد كان لهذا المسرح كيانه المستقل في بلادنا، وكانت له مقوماته الخاصة في التأليف والأداء والتذوق، وكان له دور فاعل في الحياة العامة قبل أن يعرف الناس وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ذلك أن فن الظل امتزج بوجدان الشعب امتزاجاً كاملاً، واستطاع أن يعيش تقاليد الشعب وكل ما يتعلق بحياة الناس، حتى لكأنه المرآة التي يرى بها المجتمع عيوبه ونقائصه بأسلوب يتقبله المشاهد، ويشيع في نفسه الارتياح؟ على ما كان من اعتماده المبالغة بإبراز العيوب، أكان ذلك في إطار عدم التناظر برسم الشخوص أم الدور المسند إلى كل منها، للوصول إلى مواجهة الناس بالنقد والتوجيه والتقويم بأسلوب موازنة غير مباشر، بين ما كان وما هو كائن وما ينبغي أن تكون عليه حياة الناس.

وقد أطلق على الفصل الذي يقدم من عروض مسرح الظل اسم البابة وكان من هذه البابات ما هو أصيل متوارث لم يطرأ عليه تغيير كبير، كفصل الطاحون وأيا صوفيا، وشمّ إرين، ومن هذه البابات ما وضع في فترة لاحقة، يهدف إلى تقويم السلوك وتهذيبه، كفصل علي كوكب الدوماني والوزير الخائن، وهذه الفصول مستمدة من الواقع، هي تتناول تصرف أو سلوك الناس الذي يتعارض مع ما تواضع عليه الوجدان الجمعي من مبادئ وتقاليد، فيقدمها الكركوزاتي بصورة انتقادات لاذعة ودعابات مبطنة.

ولعل من الجدير بالذكر عدم تمكن المرء من الحكم على ما يقدمه مسرح الظل من خلال قراءة النصوص، لأن مسرح الظل ليس مجرد نص، إنه إضافة إلى ذلك مجموعة من العناصر المتشابكة المترابطة ومن تلك الشخوص المشاركة بالفصل وهيئاتها وقسماتها وأزيائها، وكذلك حركة الشخوص على الشاشة وأشكال ظهورها، وتفاعل ذلك مع الحوار، وتصعيد هذا التفاعل المتكامل مع متطلبات الموقف ومدى تفاعل المتفرجين.. هذا كله يرتبط ببراعة المخايل (الكركوزاتي) وسرعة بديهته، وخفة يده ورشاقتها بالحركة.

وإذا استطاع الكركوزاتي أن يُلبس شخوصه الملامح والسمات التي يريد فقد برع أيضاً بإلباس الشخوص الطباع والنزوات وجعل لكل منها شكلاً خاصاً، فقد كان ظهور شخص كركوز في جميع الفصول طباً على وجهه، وظهور عيواظ على مقعده، وبكري مصطفى متبختراً مهدداً متوعداً. وظهور المدلل متدلعاً، والبنت مغناجة. ومن الشخوص التي كانت تظهر على شاشة مسرح الظل شخص دورني زادا، وهو يمثل دور الغر المراهق الذي لم تعركه الحياة، ثم هنالك شخص أبو أركيلة، وهو آغا تركي، كلامه مزيج بين اللغة العربية واللغة التركية ما يوقعه في مطبات ومفارقات كلامية قد تكون وبالاً عليه، وكذلك شخص حاج قريطم وهو مصري يتصنّع الفصاحة باللهجة المصرية وكثيراً ما كان الكركوزاتي يوظف تلك الشخوص لإيصال ما يريد إلى المشاهدين على سبيل الدعابة وأيضاً التشهير، فقد كان لشخص المدلل شعبية كبيرة لدى المشاهدين فيستغل الكركوزاتي ذلك، فلا يُظهر شخص المدلل على الشاشة ليلة أو ليلتين، فإذا سأل عنه المشاهدون (الجمهور) فيقول لهم الكركوزاتي على لسان أحد الشخوص إن المدلل مخستك (مريض) وهو بحاجة إلى التغذية لاستعادة نشاطه. وفي اليوم الثاني تنهال على الكركوزاتي شرائح اللحم والحلويات والفواكه لتغذية المدلل، ومن جهة أخرى فإن الكركوزاتي يقوم بالدعابة لبعض الحوانيت خلال العرض كان يجعل المدلل يتأخر بالظهور على الشاشة، فيسأله كركوز عن سبب تأخره، فيعلمه بأنه في طريقه إلى محل (فلان) الحمصاني، وأكل عنده صحن مسبحة أكل أصابيعه وراءه، وكانت شهادة المدلل كافية لأن يزدحم محل الحمصاني المذكور بالزبن.

ولعل من المفيد التوقف بهذا البحث عند المخايل (الكركوزاتي) الذي يحرك الشخوص وراء الشاشة (الخيمة) ويحكي على لسان الشخوص ما يتطلبه الحوار مع الحفاظ على لغوة ولكنة كل من هذه الشخوص مهما بلغ عددها، بالبابة (الفصل) الذي يقدمه. وكان من المخايلين من استطاع أن يعكس جوانب عديدة من حياة الناس الإيجابي منها والسلبي، فكان له دور الناقد الذي يفلسف حياة الناس وشؤونهم وعلاقاتهم، ويصور تجاربهم ومشاعرهم، وأعجب ما فيه قدرته على تغيير وتيرة أصوات شخوص البابة أو الفصل، فضلاً عن البراعة في تحريك الشخوص وأساليب نزولها أو ظهورها على الشاشة، وكثيراً ما كان الكركوزاتي يُلبس لبوس عينات من المجتمع يتناولها بالنقد والتجريح فيتحدث على ألسنتها مستخلصاً العظة المطلوبة، شارحاً ومعلقاً وسائلاً ومجيباً على شكل حوار بين شخوص البابة (الفصل) وبين المتفرجين، وكان المخايل يقوم بدور الصحافة في أيامنا، فيدخل المحكمة ويسترق السمع، ويتابع الأحداث التي بالمدينة، فيضمّن ذلك فيما يقدم على الشاشة مع العرض والتحليل والمعالجة والنقد لاستخلاص العبرة مما يقول: لذلك كان على الكركوزاتي أن يكتب على نفسه تعهداً لدى السلطة بألا يتعرض لهذه السلطة، حتى لا يكون مصيره السجن.

ويساعد المخايل في عمله جوقة موسيقية تتكون من مغن وعواد وطبال ولاعب قصب (عازف ناي) وقانونجي، تعمل هذه الفرقة بحسب ما تقتضيه طبيعة البابة المعروضة، وقد يقوم المخايل بالغناء كما قد يفسح المجال بذلك الغناء لأحد المشاهدين من الحضور.

ولا يكتمل الحديث عن مسرح الظل في بلدنا ما لم نتوقف بعض الشيء عند رواد هذا الفن بأواسط القرن التاسع عشر حتى أواخر العقد الرابع من القرن العشرين ونخص بالذكر آل حبيب بدمشق.

فأسرة آل حبيب حفظت تقاليد مسرح الظل وحفظت أصوله وباباته أربعة أجيال، وقد خصني أحفاد هذه الأسرة بالكثير مما كنت أبحث عنه، ولعل من المفيد الإشارة إلى فرسان آخرين مارسوا هذا الفن، وأخص منهم أبو عبد اللطيف سليمان معماري بطرطوس ومحمد مرعي الدباع ومن قبله مصطفى سرور بحلب ومصطفى هدهد بإدلب، وأبو الخير السباعي بحمص، وحسن اللاذقاني باللاذقية.

برجك اليوم ٤/٢٠

نجلاء قباني

أنا أقرأن الأمور حولك متعبة فقد تعاني من تأخير أو تسويف وهذا يجعلك فاقد الصبر أو تعاني من تراجع صحي أو مرض من الأمراض الموسمية المعتادة.

كن أقل حساسية وأوجد لنفسك وقت راحة وتقبل الناس كما هم من دون أن تشاهد أخطاءهم وتنسى حسناتهم فقد تشعر أنك محارب من أصدقائك.

إذا تقبلت أخطاءك وغفرت أخطاء الآخرين ستمر الأمور بشكل إيجابي ومفرح، تستعيد نشاطك وتوضح وجهات نظرك للآخرين وتشعر أن المحيط متعاطف ومتفهم.

أحكامك ليست صحيحة هذا الشهر فأنت متهور ومشوش الذهن وتعاني من قلق فقد ينتقدك أفراد عائلتك على تصرفات يعدونها خاطئة لأنها لا تناسب ما يعتقدون.

اليوم لطيف تعرف فيه أوقاتاً عذبة جميلة وعلاقاتك العاطفية يسودها الانسجام وقد تحاول لمّ الشمل وإصلاح الأخطاء لتقريب وجهات النظر بينك وبين أصدقائك.

أنت فقط بحاجة إلى إعادة تنظيم أرباحك ومواردك المالية وتقليل الصرف لذلك أنصحك بعدم تضييع أموالك في أمور ليست محسوبة جيدا أو غير مضمونة.

اليوم للقلق الإيجابي، ولكي تصبح أمورك أفضل أنجز ما تعطل أو ما توقف، اسمك يتردد في أعمال مميزة وعلى الأغلب هذا شهر جيد لتغير حياتك أو مصيرك.

أنصحك بالحذر من المخادعين ذوي النوايا السيئة وخاصة الذين لا تعرفهم جيداً، قد تنسى أشياء مهمة حاول أن تركز تفكيرك وخاصة على الأشخاص المقربين منك.

لقاءات جيدة ومصالحات والأهم أنك تنظر إلى المستقبل بثقة وتفاؤل وآمال جديدة فأنت تمتلك المحبة والحب القادرين على السير بحياتك ورغباتك إلى الأفضل.

لا تدع النقد الذاتي أو النصائح ممن حولك أو التدخل يشلك أو يقلل من مبادراتك وقد تشعر أحياناً أن رؤساءك في العمل يساوون بينك وبين أشخاص لا خبرة لديهم.

اليوم مناسب للتنقلات والسفر وكسب الأرباح فتش عن حقوقك المالية وقد تطرأ اليوم مشكلة بحاجة لحل سريع تحتاج لحلها لكامل طاقاتك ومقدراتك.

تقبل نصيحة من يحبك وطبق النصائح التي تمنحها للآخرين على نفسك فأنت تستطيع استقطاب الناس ليقتربوا منك وليمنحوك الحب والمساعدات والتشجيع.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١- عاصمة إفريقية- بَسَط.
٢- مساندة- شاعر أردني- مساء.
٣- عاصمة أوروبية.
٤- شجر باسق- لا أهتم به.
٥- هزّ- سهول وأراضٍ ممتدة - فرحه.
٦- استمرّ- قاعدة وأساس- نعم بالأجنبية (م).
٧- مدينة أندلسية٠ نصف وريد- متشابهان.
٨- نصف عيار- كذب (م)- أصيل.
٩- أحفر في الأرض وأفتش- زهر.
٠١- نكتب عليه- من الأطراف (م)- عشق (م).
١١- يطيع- أكذب وأدّعي (م) .
٢١- بدانة- نجيع- حاجز.

عمودي:

١- مفكر فلسطيني أميركي راحل.
٢- اتركْ- يسكن قربي.
٣- يلهو- مدينة إيرانية (م)- صلب.
٤- حروف متشابهة- نعم بالأجنبية (م)- إلهه.
٥- أبنيه- استبدّ وفتك.
٦- هدف (م)- والدته- مثيل.
٧- متشابهان- من فنون العلم- حجر كريم.
٨- بحيرة ماء- فتور (م)- أشار (م).
٩- طريقي- حروف متشابهة.
٠١- مريض (م)- جيوش.
١١- بحر (م)- صوت الحمام- هواء.
٢١- غَنَج- دولة أوروبية.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١										■		
٢				■					■			
٣		■					■		■		■	
٤		■				■						■
٥			■					■				
٦					■	■				■		
٧							■			■		
٨			■				■				■	
٩		■			■				■			
١٠								■				
١١	■	■				■						■
١٢							■	■		■		

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ا	س	ت	ك	هـ	و	ل	م	■	ر	ع	د
٢	م	ي	ا	م	ي	■	ي	■	ع	ي	م	ج
٣	ل	ل	■	ع	■	س	ر	ب	■	م	ا	ل
٤	ح	ا	م	■	ا	م	هـ	■	م	■	د	هـ
٥	ج	ن	و	ن	■	ي	■	م	ا	ر	ح	■
٦	ا	■	ا	ر	■	ر	ي	■	ت	و	م	ا
٧	ز	ي	ن	هـ	■	هـ	ع	ج	■	ب	د	ا
٨	ي	■	ا	ب	و	ا	ق	■	■	ي	ي	ي
٩	■	ا	■	هـ	■	ح	ب	ي	ب	■	■	د
١٠	ف	م	هـ	■	م	م	■	ع	ب	ا	ا	هـ
١١	و	ي	ل	■	ت	د	■	ل	■	■	ف	■
١٢	ل	ر	ا	ب	ع	■	ن	م	ا	■	ر	ي

كلمة السر

ت	س	م	ع	ق	ا	و	ش	ا	ل	ا	ا
و	ك	ا	ل	م	و	ت	ج	ل	ن	ع	هـ
ا	ق	م	ا	ب	ع	د	ف	ي	ي	ي	ت
ن	ر	ا	ن	و	ت	ط	ف	ء	ز	ن	م
ت	ح	ش	م	ا	ت	ب	ق	ى	ا	ي	ا
ا	ت	ت	ب	ب	ر	ي	ق	ي	و	هـ	س
ي	س	ق	ي	ت	ر	د	د	و	ي	ا	ت
ر	م	ت	ص	و	ت	هـ	ا	ص	ة	ب	ب
ك	ن	ا	ا	ب	د	ا	س	د	م	م	ا
ذ	ك	ا	ل	ي	هـ	ا	ب	ى	ا	ا	ب
ل	ب	د	ا	خ	ل	ك	ا	ل	ى	ء	ر
ا	س	ت	ح	ت	ف	ظ	ص	و	ت	هـ	ا

كلمة السر مؤلفة من ثمانية حروف: ممثلة سورية.

(لن تسمع صوتها أبداً... وإن اشتقت إليها ستحرقك الأشواق... وتطفئ ما تبقى منك بماء الذكريات.. في زاوية ما ستحتفظ بابتسامتها... ببريق عينيها وصدى صوتها يتردد بداخلك إلى ما بعد الموت..)

SUDOKU

					5			9
		6	3			8		
7			6				1	
	1		8	3		5		
5				7				6
		3			9		8	
	7				3			8
		4			8	9		
6			4					

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

9	8	4	5	7	1	3	6	2
2	1	3	9	6	8	5	4	7
7	6	5	2	4	3	1	9	8
6	7	8	4	1	2	9	5	3
5	9	1	6	3	7	2	8	4
4	3	2	8	9	5	6	7	1
8	2	9	3	5	4	7	1	6
3	5	7	1	8	6	4	2	9
1	4	6	7	2	9	8	3	5

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١٥/٣٣°	١٦/٣٣°
حمص	١٥/٣١°	١٦/٣١°
حلب	١٣/٢٨°	١٤/٢٨°
اللاذقية	١٦/٢٦°	١٨/٢٦°
السويداء	١٢/٣١°	١٤/٣٢°
الحسكة	١١/٢٧°	١٢/٢٨°

من هو؟

فنانة سورية، إذا جمعت الأحرف:

٣ + ٢: طليق.
٤ + ٥: بئر.
١ + ٦: عَبَر.

١	٢	٣	٤	٥	٦

الحل السابق: حسام عيد.